غسان تويني.. غياب قلم حر

توفي "عملاق الصحافة اللبنانية والعربية" غسان تويني عن ٨٦ عاماً، أمس الأول الخميس، في مستشفى الجامعة الاميركية في بيروت بعد صراع مع المرض.

غسان تويني.. المناضل والصحفي الذي لم تنل منه الصعاب ، حتى وهو يتلقى الضربة الاقسى عندما اغتيل نجله النائب والصحافي جبران تويني في تفجير سيارة مفخخة عام ٢٠٠٥.

ويروي صحافيون في النهار ان غسان تويني الذي كان في باريس يوم مقتل ابنه ، عاد في الليلة نفسها الى بيروت، حيث اتصل بفريق التحرير ليملي عليهم عنوان الصفحة الاولى في اليوم التالي، وهو العنوان الذي صدرت فيه الصحيفة على ثمانية اعمدة "جبران لم يمت والنهار مستمرة." بالقوة نفسها، وقف تويني في مأتم ابنه يدعو الى التسامح والتعالي عن الاحقاد ، وبعد ان كان قد سلم ادارة جريدة النهار الى جبران تويني، لينصرف الى مؤلفاته وتقاعده، عاد وتسلمها بحماسة سنوات الشباب وبشغف المهنة ذاته.

وبعد ان كان قد ابتعد عن السياسة، عاد وقبل، تحت ضغط محبيه والاوساط السياسية والشريحة الشعبية الواسعة الوفية لعائلته، بان يصبح نائبا في البرلمان للمدة المتبقية من ولاية ابنه والتي جاوزت الثلاث سنوات، وذلك من ضمن فريق ١٤ آذار الذي كان يشكل الاكثرية النيابية والوزارية في حينه.

ثم عاد وسلم الأمانة مجددا في الجريدة والبرلمان الى حفيدته نايلة تويني، ابنة جبران.

عرف غسان تويني بسعة علمه وثقافته ودبلوماسيته ومواقفه المستقلة، وان كان شكل في بعض الحقبات جزءا من ائتلافات سياسية معينة.

غسان تويني أطلق عليه رجل كل الفصول، فقد كانت له فصول في السياسة والاقتصاد والثقافة والفكر.

غسان تويني الصحفي والسياسي الذي دخل البرلمان دون سن الخامسة والعشرين. شغل مناصب وزارية مهمة. وكان مندوب لبنان الدائم في الامم المتحدة في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات في أوقات عصيبة تخللها خصوصا اجتياحان إسرائيليان. وينظر إليه على نطاق واسع على أنه "عراب" القرار ٤٢٥ الصادر عن مجلس الأمن الدولي في ١٩٧٨، والذي دعا اسرائيل الى الانسحاب من لبنان، الامر الذي لم ينفذ حتى العام ٢٠٠٠.

من ابرز مؤلفاته "اتركوا شعبي يعيش" في ١٩٨٤، و"حرب من أجل الآخرين" عن الحرب الاهلية اللبنانية في ١٩٨٥، و"سر المهنة وأسرار أخرى" في ١٩٩٥.

أما كتابه الأخير فحمل عنوان "لندفن الحقد والثأر، قدر لبناني". وقد صدر باللغة الفرنسية بالتعاون مع الكاتب الفرنسي جان فيليب دو توناك، وهو عبارة عن سيرة ذاتية تروي محطات مهمة من حياة الصحافي والسياسي والدبلوماسي والإنسان.

كتب غسان تويني آلاف الافتتاحيات في صحيفة "النهار"، وكلفه بعضها دخول السجن بسبب جرأته ومواجهته السلطات في عز نفوذ ما كان يعرف بـ"المكتب الثاني" (استخبارات الجيش) في الحياة السياسية على الدولة في حقبة الستينات وأوائل السبعينات.

عميد الصحافة ظل طوال حياته غصنا وارفا في شجرة الفكر والسياسة اللبنانية لكن مشاغل السياسة لم تصرفه عن رسالته الأولى وهي الصحافة، ، فكان طموحه الدائم أن ينهض بصحيفته (النهار)، فيجعلها منبراً للفكر الحر والتعددية الفكرية، فاحتلت الصدارة بين صحف الوطن العربي. وشدّت رجال الفكر إلى خطّها المنفتح والمستقل في وطن يقوم على طوائف متعددة. وحوّلها إلى صوت للديمقراطية لتصبح نموذجا للفكر المستقل الذي يحترم القارئ والكاتب، ودعا اللبنانيين باستمرار في مرحلة الحرب الأهلية إلى التسامح والحوار وشجاعة الاعتراف بالحقيقة. التي دفع ثمنها ابنه الوحيد وفاء محبته لوطنه..

بغياب غسان تويني تطوى صفحة مضيئة من تاريخ الصحافة العربية كان فيها الراحل محبا للصحافة وعاشقا للحرية ، لم يخالف قناعاته، ومواقفه، ليشكل في النهاية نموذجا للصحفي الحر المدافع عن قضايا الناس بعيدا عن التحيز والطائفية.

المدى

رحيل عميد الصحافة اللبنانية غسان تويني

توفي، ليل الخميس الجمعة، غسان تويني الملقب بـ "عملاق الصحافة العربية" والسياسي والدبلوماسي اللبناني عن ٨٦ عاما، بحسب ما ذكرت صحيفة "النهار" العريقة التي تملكها عائلته.

وعنونت "النهار" على صفحتها الأولى "رحل... فجر النهار"، وكتبت حفيدته رئيسة مجلس إدارة الصحيفة نايلة تويني "هكذا قبل صياح الديك، رحلت"، مضيفة "لن أرثيك اليوم ولن أبكيك. لا عبارات لدي تفيك بعض حقك. أمامك وأنت سيد القلم، تسقط الحروف وتعجز الكلمات".

ويعرف غسان تويني بأنه "عملاق الصحافة العربية"، و"عميد الصحافة اللبنانية". وبدأ عمله الصحافي وهو في بداية العشرينات في جريدة "النهار" التي أسسها والده العام ١٩٣٣. وما لبث أن دخل المجال السياسي ودخل البرلمان اللبناني وكان في الخامسة والعشرين من عمره.

تميزت حياته بمآس عدة، لدرجة وصف بان قدره يشبه "أبطال التراجيديا الإغريقية". فقد توفيت ابنته نايلة وهي في السابعة بمرض السرطان، وما لبثت أن لحقت بها زوجته الشاعرة ناديا تويني بالمرض نفسه.

بعد ذلك بسنوات، قضى نجله مكرم في حادث سيارة في فرنسا. وقتل نجله الصحافي والسياسي جبران تويني في عملية تفجير استهدفته في كانون الاول ٢٠٠٥. قبل ثلاث سنوات، توقف غسان تويني عن كتابة افتتاحيته في جريدة "النهار" بسبب العجز والمرض. لغسان تويني مؤلفات كثيرة أبرزها "دعوا شعبي يعيش" وهو عنوان خطاب ألقاه في الأمم المتحدة خلال الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠)، و"حرب من أجل الآخرين".

ونعته صحيفة "النهار" في عددها الصادر، أمس الجمعة، قائلة: (قبل سبع سنوات كتبها بخط يده "جبران لم يمت... و"النهار" مستمرة". فماذا تراها تكتب "النهار" في لحظة رحيله؟ وكيف تراها تتجرأ على نعيه وهو قاهر الفناء وأسطورة الإيمان أمام المصائب والشدائد؟ أسلم نزيل الغرفة ٩٢٩ في مستشفى الجامعة الاميركية الروح بعد ٣٨ يوماً من جولته الأخيرة في نزاع مضنٍ مع قدره، ولا نقول أمراضه؟

عملاق الصحافة اللبنانية والعربية وعميد "النهار" ومعلّم أجيالها المتعاقبة منذ تولى مبكراً مسؤولياته فيها وباني مجدها وصانع ألق الكلمة والفكر. النائب والوزير والسفير والدبلوماسي وصانع الرؤساء والعهود والسياسات في زمن مجد لبنان ومجد الرجال، كما في زمن الأحداث الكبيرة وزمن الكبار.

الصارخ "اتركوا شعبي يعيش" أمام مجلس الامن، ومطلق حقيقة "حرب الآخرين على أرض لبنان"، غسان تويني رحل بعد ثلاث سنوات من اشتداد جلجلة أقعدته حتى عن قلمه الساحر وافتتاحيات صباحات الاثنين، ذاك القلم الذي كان الاقرب التصاقاً بصاحبه الكبير والأحب اليه بعد احبائه. المؤمن الاسطوري الذي ذاق من تجارب قدره ما يفوق قدرة البشر على الاحتمال... من موت طفلته نايلة الى مرض زوجته ناديا وموتها، الى مقتل ابنه الثاني مكرم في حادث سير مفجع، الى ذروة الذروة في استشهاد ابنه البكر جبران في اغتيال وحشي... هذا المؤمن لم تفارقه شجاعة مذهلة حتى مع انقضاض هذا القدر على جسده المتعب فسرق منه القدرة على النطق وحرمه الكتابة في سنواته الثلاث الأخيرة وهو المالئ لبنان ودنيا العرب بموسوعيته المعرفية والصحافية في "النهار" والدراسات والمؤلفات والكتب.

٨٦ عاماً من ملحمة انسانية مذهلة هي مزيج من كيمياء المجد الذي صنعه غسان تويني، أحد آخر الكبار والعمالقة في زمن التصق باسمه وطبعه بتوقيعه في الصحافة والفكر والدبلوماسية والسياسة ذات المعايير الاستثنائية، مقترنة بتجربة انسانية وشخصية لا يقوى على مواجهتها الا غسان تويني وحده.

معلم "النهار" والصحافة لا تقوى "النهار" على نعيه، بل تعاهد روحه وكل الارث الذي تركه للأجيال اللبنانية والعربية وما يمثل من امانة في عنق "النهار" على ان تبقى وفية لكل القيم والمعايير المهنية والوطنية والانسانية التي تختزنها سيرة كبيرها الراحل كما لكل حرف كتبه وكلمة قالها.

وستبقى "النهار" مستمرة مستمدة من كبيرها الايمان في الاستمرار والشجاعة في الدفاع عن كل ما تركه لها مع الشهداء الذين ستقر عيونهم لانضمامه إليهم، كبيرا للشهداء.

من اليمن إلى اليسار: عثمان العمير. غسان تويني. سلطان القحطاني. ميّ الياس

في الصف الثاني: نسرين عز الدين. عبدالله المسعود. سمر عبد الملك. مروة كريدية. خلف خلف. فهد سعود. ناصر الغنيم

نبذة عن حياته:

لقّب غسان تويني بـ"عملاق الصحافة العربية" بسبب عراقة صحيفة "النهار" التي تملكها عائلته والتي خرجت أجيالاً من الإعلاميين وأرخت لعقود من احداث المنطقة، وقد فضلها غسان تويني غالبا على السياسة التي أتقنها وتميز فيها بتجرده وترفعه عن المصالح الخاصة الصغيرة. مناضل كان غسان تويني لم ترحمه الدنيا، لكنها لم تنل منه. ولعل الضربة الأقسى التي تلقاها كانت العام ٢٠٠٥، عندما اغتيل نجله النائب والصحافي جبران تويني في تفجير سيارة مفخخة، فخسر بذلك آخر فرد من افراد عائلته الصغيرة.

ويروي صحافيون في النهار ان غسان تويني الذي كان في باريس يوم مقتل ابنه وعاد في الليلة نفسها الى بيروت، وقبل، تحت ضغط محبيه والاوساط السياسية والشريحة الشعبية الواسعة الوفية لعائلته، بان يصبح نائبا في البرلمان للمدة المتبقية من ولاية ابنه والتي جاوزت الثلاث سنوات، وذلك من ضمن فريق ١٤ آذار الذي كان يشكل الاكثرية النيابية والوزارية في حينه.

ثم عاد وسلم الامانة مجددا في الجريدة والبرلمان الى حفيدته نايلة تويني، ابنة جبران. عرف غسان تويني بسعة علمه وثقافته ودبلوماسيته ومواقفه المستقلة، وان كان قد شكل في بعض الحقبات جزءا من ائتلافات سياسية معينة.

هو ابن عائلة ارثوذكسية عريقة من الاشرفية شرق بيروت. ولد العام ١٩٢٦. في عام ١٩٤٥، تخرج من الجامعة الأميركية في بيروت في الفلسفة. حصل على ماجستير في العلوم السياسية من جامعة هارفرد في الولايات المتحدة.

دخل البرلمان وكان لم يبلغ الخامسة والعشرين. وشغل مناصب وزارية مهمة.

وكان مندوب لبنان الدائم في الامم المتحدة في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات في اوقات عصيبة تخللها خصوصا اجتياحان اسرائيليان. وينظر اليه على نطاق واسع على انه "عراب" القرار ٤٢٥ الصادر عن مجلس الامن الدولي في ١٩٧٨ والذي دعا اسرائيل الى الانسحاب من لبنان، الامر الذي لم ينفذ حتى العام ٢٠٠٠.

من ابرز مؤلفاته "اتركوا شعبي يعيش" في ١٩٨٤، و"حرب من أجل الآخرين" عن الحرب الاهلية اللبنانية في ١٩٨٥، و"سر المهنة وأسرار أخرى" في ١٩٩٥.

اما كتابه الاخير فحمل عنوان "لندفن الحقد والثأر، قدر لبناني". وقد صدر باللغة الفرنسية بالتعاون مع الكاتب الفرنسي جان فيليب دو توناك، وهو عبارة عن سيرة ذاتية تروي محطات مهمة من حياة الصحافي والسياسي والدبلوماسي والانسان.

كتب غسان تويني آلاف الافتتاحيات في صحيفة النهار، وكلفه بعضها دخول السجن بسبب جرأته ومواجهته السلطات في عز نفوذ ما كان يعرف بـ"المكتب الثاني" (استخبارات الجيش) في الحياة السياسية على الدولة في حقبة الستينات وأوائل السبعينات.وسربت جريدة النهار بنود اتفاق القاهرة الشهير السري بين لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية، ما احدث هزة في الساحة اللبنانية، وتسبب بسجن مرة اخرى لرئيس مجلس الادارة ورئيس التحرير غسان تويني العام ١٩٧٣، بتهمة "إفشاء أسرار الدولة".تركت السنوات آثارها على وجهه، الا انه ظل يطل عبر محاضرات او حلقات تلفزيونية خاصة او منتديات ثقافية، بشعره الابيض ونظارتيه الكبيرتين وسيجارته، وصوته الهادئ الواثق، يروي خبرات حقبة واسعة من تاريخ لبنان الحديث.جاهر غسان تويني بإيمانه المسيحي. إلا انه آمن، كما كتب، بان "جوهر لبنان الرسالة هو الديمقراطية التي يجب ان يكون عاصمتها... أي ألا يستوطنه الإرهاب، ولا تتخمر في أرضه الأصوليات ايا تكن، مسيحية كانت أم إسلامية لا تمييز". كما دعا إلى عروبة الحداثة والتجديد والانفتاح.

تزوج غسان تويني في الخمسينات من الشاعرة ناديا تويني، متحديا وإياها كل التقاليد والأعراف، كونها متحدرة من عائلة درزية عريقة من جبل لبنان. ورزق الزوجان بثلاثة أولاد: نايلة التي توفيت في السابعة اثر إصابتها بالسرطان، ومكرم الذي قضى في حادث سير في فرنسا وهو في ربيع العمر، وجبران الذي كان في الثامنة والأربعين عندما قتل.أما ناديا، فقد توفيت بعد أربع سنوات من وفاة ابنتها بالمرض ذاته. وتزوج غسان تويني مرة ثانية من شادية الخازن العام ١٩٩٦.

صورة نادرة تجمع غسان تويني مع والده مؤسس النهار جبران تويني

جدي غسان سلّم على جبران

بقلم نايلة تويني

جدي، هل تذكر عند استشهاد والدي وكنا بعد في باريس، انك قلت لي: "لا أطلب منك ان تكوني رجلاً، بل على مستوى ما ينتظره منك والدك". اليوم صارت المسؤولية أكثر والانتظارات أكبر. هكذا قبل صياح الديك رحلت، وفي وجداني ما تنتظره مني، فحملت وجعي وتوجهت إلى "النهار"، لأكتبك خبراً وداعياً.

جدي، لن أرثيك اليوم، ولن أبكيك. لا عبارات لديّ تفيك بعض حقك. أمامك وأنت سيد القلم، تسقط الحروف، وتعجز الكلمات عن التعبير، في الحضور او في حضرة الغياب.

جدي، كبير العائلة، ومن بقي لنا بعد جبران، أين تذهب اليوم؟ ولماذا تتركنا وحيدات، أخواتي وأنا؟ أتذهب للقيا جدتي ناديا، أم عمتي نايلة، أم عمي مكرم، أم آخر أبنائك جبران؟

أتذهب إليهم، فتجتمع العائلة هناك في أحضان القديسين؟ هل تتطلعون إلينا من فوق؟ هل اشتقت إليهم واشتاقوا إليك، ولم تحسبوا جميعاً حساباً لشوقنا إليكم نحن المتروكين هنا؟

جدي، التحية والحب لك، اليوم وفي كل نهار، وكلما صاح الديك والفقد لقلمك، لفكرك، لعقلك، ولأدبك، لقلبك الكبير، الذي انشطر مراراً.

تحية حب ووفاء لك من العائلة، من "النهار" عائلتك وعائلتنا، من الدبلوماسية التي كنت مثالها، من بلد الأرز الذي حملت لواءه، وبلد ثورة الأرز، وبلد الشهداء، وبلد القديسين.

جدي غسان، هل تعي ما تفعل بنا اليوم، تترك شادية وحيدة، أما أنا وأخواتي فتجعلنا يتيمات فعلاً، فلا أب لنا، ولا جد، ولا عم، ولا عمة...

جدي، الذي ترقد اليوم مرتاحاً غير مطمئن، لن أحمّلك شيئاً، ولا مسؤولية أمر، فما احتملته في حياتك لا يصمد حياله أحد، حتى الصخر تفتت، في حين كنت أنت الصخرة الجبل.

جدي، أحمّلك شوقي إليك، والى كل العائلة، قل لجبران، عندما تلتقيان، إننا نفتقده، وإننا اشتقنا إليه، سأزوركما معاً، انا وجبراني الصغير، في مار متر، في كل حين، سأصلي لكما، وصليا معي من اجل لبنان حتى تطلع عليه "النهار" كل صباح، ويعيش ملء القيامة.

تأكد دوماً أننا سنكون معاً وسنبقى معاً موحدين، أخواتي وأنا وشاديا وخالي مروان وكل الأسرة. جدي غسان، سلّم على جبران

عن جريدة النهار
الجمعة ٢٠١٢/٦/٨

اخر ماكتبه الراحل

نحو رؤية إستراتيجية لبنانية..

باريس – من غسان تويني

هل تستمر الانتخابات اللبنانية "بلدية" في عهدة الرقابة الأوروبية التي أودعتنا صناديق اقتراع "رمزية" الشفافية حتى يرى كل ناخب منا كيف ان الورقة التي كتب عليها اسماً لن يفسح أمامه في مجال ممارستها.

... وتظل الاسماء مسمّرة في مكانها تنتظر ان تصنّف في الاستفتاء التي يريدونها ان تصير التعبير الدولي عنه الاكثرية "الحاكمة" التي ترعاها واشنطن بكثير من الخفر وهي تشدّها الى قمة غربية التوجه تريدها ان تكون موئل سلام الشرق الذي تمنع اسرائيل قيامه باستمرارها في معارضة دولة للفلسطينيين تشارك في قدس غير مقتسمة تكون عاصمة الدولتين معاً، والعاصمةً العالمية لكل الديانات السماوية.

×××

في نظرنا، لبنان هو الدولة العربية المؤهلة عضوياً بل كيانياً لأن تكون منطلق هذه الرؤية الإستراتيجية التي تنادي أوروبا لبنان لتعهدها توثيقاً لانتسابه الأوروبي. ووحده لبنان إذا فعل يمكنه ان يدعو في المقابل الى التجاوب مع القمة "الآسيوية" التي تدعو إليها إيران وترعاها موسكو باليد اليسرى وتحويلها من قمة حرب الى قمة تكامل السلام باستيعاب "حزبية الله" وتحويلها من الحرب على مؤمنين بالله إياه إنما بغير تحزب، مما يمكّن القمة الآسيوية هذه من محاولة احتضان الموقف الباكستاني الداعي حتى بالعنف الى منع استمرار وانتشار الإرهاب الإسلامي و"الطالبانية" كما لا احد ... غير الجبهة الباكستانية وامتداداتها الإستراتيجية المعلنة وغير المعلنة.

×××

ماذا يمنع بيروت من أن تتجرأ وتفاتح وزير خارجية روسيا عندما يزورنا، إن لم تقنعه بالعدول عن زيارتنا، لسبب من عندياتها، ثم تبيع ذلك لواشنطن التي قد يناسبها الأمر في مقابل ثمن سوري ما!

المقالة الأخيرة التي كتبها في صحيفة النهار – ٢٠٠٩/٥/٢٥

مدير التحرير | رئيس القسم | مسؤول الصفحة | القسم الفني | قسم التصحيح